في هذا العدد

على الرغم من التجربة الماضية المحبطة بعد عقدين وأكثر من انطلاق عملية السلام في مدريد، وعدم جدية أو صدقية الطرف الآخر، يبدو أن الفترة القريبة المقبلة ستشهد تحركات جديدة على صعيد المفاوضات الفلسطينية ـ الإسرائيلية.

والواقع أن التطورات المذهلة الجارية في المنطقة، سواء كان ذلك في المشرق الكبير أو في العراق أو على الصعيد الإقليمي العام، ولّدت، على ما يبدو، قناعة جديدة لدى صانعي القرار في الغرب وفي الولايات المتحدة تحديداً، بأن الاختراقات التفاوضية على الجبهة الفلسطينية ـ الإسرائيلية تساهم في خفض حدة التوترات والصراعات الشائعة في المنطقة عامة. ومع أن من الواضح أن حالة الاحتدام والصراع الطائفي/الإثني في العالم العربي اليوم ليست ذات صلة مباشرة بالصراع العربي ـ الإسرائيلي التاريخي، إلاّ إن الرؤية الأميركية الغربية السائدة (والتي تبنّاها بشكل خاص وزير الخارجية الأميركي جون كيري) تفيد بأن "تنفيس"، ثم إيجاد "حل" ما للصراع بشأن أرض فلسطين، من شأنهما أن يساهما في "تثبيت" أو احتواء الصراعات الأُخرى الدائرة في المنطقة من جهة، كما أنهما قد يزيدان من جهة أُخرى، حرية عمل أميركا وحلفائها العرب وإسرائيل في التصدي لتداعيات "الربيع العربي" غير المستحبة ـ من صعود التيار الإسلامي الجهادي، إلى مواجهة الخطر النووي الإيراني المفترض.

زيارة الرئيس الأميركي باراك أوباما لإسرائيل وفلسطين في آذار/مارس الماضي جاءت ضمن هذا السياق، مع أن الرئيس الأميركي أحبط كثيرين ممّن تفاءلوا بعهده الثاني بعد أن ذهب بعيداً في تبنّيه الرواية التاريخية الإسرائيلية، والكشف عن انحياز أميركي رئاسي معنوي غير مسبوق إلى الطرف الآخر، كأنه لم يقرأ شيئاً عن تاريخ الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي (بما في ذلك كتابات المؤرخين الإسرائيليين الجدد أنفسهم)، أو أنه تجمّد في فهمه عند رواية ليون أوريس "إكسودس" المبنية على الخرافات الصهيونية، والصادرة في أواخر الخمسينيات. والواضح أن أوباما وجد نفسه مضطراً إلى أن يكفّر عن ذنبه في تحدي بنيامين نتنياهو خلال الأعوام الماضية، وأن يعوّض "تجاهله" لإسرائيل عبر الانضمام إلى قافلة السياسيين الأميركيين المتزلفين لإسرائيل، والذين يفضّلون الانحناء أمام جبروت اللوبي الإسرائيلي كالمعتاد.

لكن مهما يكن الأمر فإن الأشهر القليلة المقبلة مرشحة لأن تشهد محاولات أميركية ـ عربية لدفع عجلة التفاوض الفلسطيني ـ الإسرائيلي إلى الأمام، وذلك، ربما، عبر محاولة الاتفاق على مرجعية جديدة للمفاوضات تحدد، وبشكل عام، خطوط التسوية ومبادئها، بغية استكمال الحديث عن تفصيلات الحل في مرحلة لاحقة. وحملت زيارة وفد الجامعة العربية لواشنطن في بداية أيار/مايو ورقة "التعديل" على مشروع السلام العربي، كي تؤكد أن الجهد الأميركي ليس يتيماً، وأن هناك قوى أُخرى في المنطقة تشارك واشنطن في مفهومها لاحتمالات "تثبيت" الوضع الإقليمي عبر باب التسوية الفلسطينية ـ الإسرائيلية. وليس هذا التحرك على الأرجح سوى أول الغيث، مع أن عجلة التفاوض الفلسطيني ـ الإسرائيلي لن تتحرك بسهولة، وخصوصاً في وقت تبدو أدوات "التثبيت" عاجزة أمام احتمالات التخبط والتصعيد والانفجار.

واللافت في هذا العدد من "مجلة الدراسات الفلسطينية" أن مَن يقرأ عن الوضع على الأرض

في فلسطين اليوم، لا بدّ من أن يرى أن الشعب في وادٍ، والرؤساء والقادة وزعماء العرب والعالم في وادٍ آخر. فالحديث، حديث الشباب بالذات، ليس عن المفاوضات واحتمالات التسوية، وإنما عن استنهاض روح جديدة للمقاومة، واستحداث أساليب مبتكرة تشد أنظار الفلسطينيين في كل مكان، وتعيد الدفء إلى القلوب العربية التي لم تنسَ فلسطين يوماً، وهي تعبّر عن وجهة سلمية حضارية للمقاومة ضد الاحتلال، حققت أخيراً إنجازاً معنوياً كبيراً عبر تجربة قرية "باب الشمس" التي سُميت بوحي من رواية زميلنا في رئاسة التحرير الياس خوري، والتي أثبتت التفاعل بين الأدب والحياة، وبين الرواية الملتزمة والمقاومة المشروعة. فتكتب لنا عبير قبطي عن هذه التجربة الفريدة في مقالة "المقاومة الشعبية نجاحات وإخفاقات: باب الشمس نموذجاً" متناولة أوضاع إنشاء "القرية" التي خططت لها مجموعة من الشابات والشبان في سياق البحث عن أساليب مبتكرة للنضال ضد الاحتلال والاستيطان. كما تتحدث المقالة عن العقبات التي واجهت التجربة، وعن دلالاتها واحتمالات تطورها في المستقبل. وتقول قبطي إنه عندما طُرح اسم "باب الشمس" تيمناً برواية الياس خوري، تم الربط بين الرواية والعودة والمقاومة. غير أن من الطبيعي أن ظروف النضال من جهة، واستدراك إسرائيل أهمية هذا التحدي من جهة أُخرى، يفرضان على الجانب الفلسطيني الاستمرار في البحث عن وسائل جديدة للمقاومة الشعبية. وتتناول مقالة جميل هلال، "الوطنية الفلسطينية في مواجهة تهافت السياسة"، أزمة النظام السياسي الفلسطيني، وتشرح أسباب تفتيت الحقل السياسي الوطني، والصراع بين "سلطتين" تحت الاحتلال. ويتطرق تقريرنا الفلسطيني الفصلي إلى صورة الوضع السياسي الراهن داخل الأراضي المحتلة، والتغيرات والتحديات المرتقبة خلال الفترة القريبة المقبلة.

ويشتمل هذا العدد من المجلة، كالعادة، على مادة تاريخية وثقافية غنية، تُضفي بُعداً فكرياً مهماً على الحالة الفلسطينية الراهنة. فيكتب سعود المولى بعين ثاقبة عن "المقاومة الإسلامية، في فلسطين: التباسات البدايات، واقعية المسارات". وانطلاقاً من اهتمامنا بالدراسات النسائية تعالج همّت زعبي "تأثير النكبة في مكانة النساء المهجّرات: حالة مهجّرات صفّورية والمجيدل في الناصرة".

وتُعنى المجلة، طبعاً، وبصورة خاصة، بتكريم كبار المفكرين والباحثين الفلسطينيين وإحياء ذكراهم. فتخصص في هذا العدد زاوية لزميلنا السابق في مؤسسة الدراسات الفلسطينية الباحث الكبير الراحل الدكتور الياس شوفاني، فيكتب لنا كل من محمود سويد، وجابر سليمان، وحسن الشريف، وابنتيه هند ونور شوفاني، عن ذكرياتهم وتأملاتهم في سيرة الفقيد الكبير، وإرثه الفكري والسياسي بعد حياة طويلة من النضال في خدمة القضية الفلسطينية.

وتأتي في السياق مقالة وجيه كوثراني عن أحد أهم رموز النضال الفلسطيني السياسي المعاصر، شفيق الحوت.

وإدراكاً منا للأهمية الخاصة للعامل الإقليمي، وأثر القوى الإقليمية في الوضع العربي الراهن، أجرى الزميل ميشال نوفل، بمؤازرة الصديق جنكيز تشاندار، مقابلة خاصة مع وزير الخارجية التركي وأحد أهم أقطاب الحكم في أنقرة اليوم، أحمد داود أوغلو، الذي عرض فيها وببعض الإسهاب مفاهيمه الفكرية والنظرية، وتصوّره لعلاقة تركيا مع الحركات الراهنة في المحيط

العربي وإسرائيل. ويتطرق داود أوغلو، في المقابلة، إلى تطور مفهوم سياسة "تصفير" المشاكل التي هندسها، ويقوّم مدى نجاحها، كما يشدد على أهمية البُعد التاريخي/الجغرافي في العلاقات مع دول الجوار، فيقول: "استعدنا اندماجنا مجدداً في هذه المناطق من الناحية الجغرافية، وأعدنا تفسير العلاقات مع أبناء العم والأقارب التاريخيين، ومع الجيران، واندمجنا معاً مجدداً. هذه هي صيغة 'العمق الاستراتيجي'." ومن هذا المنطلق ينفي داود أوغلو صفة "العثمانية الجديدة" عن السياسة التركية الراهنة، ويقول إن المطلوب هو تحقيق "التشابك الاقتصادي" على غرار الاتحاد الأوروبي. ويبدو الوزير التركي متحفظاً حيال احتمال عودة العلاقات التركية ـ الإسرائيلية إلى ما كانت عليه في العقود السابقة.

وعلى الطرف الآخر من العامل التركي، يكتب لنا أومير تاشبينار عن "تركيا: التسوية الكردية والديناميات الإقليمية"، وينظر إلى أهمية التطورات الحيوية الأخيرة بين الحكومة التركية وحزب العمال الكردستاني، والتي قد تنتهي بتسوية سياسية للمسألة الكردية التاريخية في تركيا. وممّا لا شك فيه أن هذا التطور، إن حدث، سيشكل تحولاً استراتيجياً فائق الأهمية يؤثر، على الأرجح، في الوضع الإقليمي برمّته. ولعله تجدر الإشارة إلى كلام تاشبينار أن الأمل الوحيد لوقف هذا المدّ الكردي بالنسبة إلى تركيا هو "الشراكة مع الأكراد في إطار الفدرالية والحكم الذاتي"، وأن "لا شيء أقلّ من اتخاذ خطوات جادة نحو الديمقراطية والتعددية الثقافية والفدرالية، قادراً على استيعاب المدّ الكردي."

ويأتي هذا العدد من المجلة غنياً، كما في العادة، بالمادة الفكرية والثقافية. ولعل أبرز المساهمات في هذا المجال المقالة الجذابة لفواز طرابلسي، "ماذا ينفع الشعور بالذنب؟" وهو يثير أسئلة عن الموقع الذي يحتله الذنب الفردي والجمعي في منظومة من الأوضاع الرمزية أو الحقيقية، فيغوص في "النزعة الثقافوية" ليمرّ عبر أدبيات الاستشراق، ثم التحري في موقع قصة داود وجوليات في التراث الإسلامي/العربي، وبعدها الالتفات إلى مقاربة بين عظيمين من عظماء الفن هما كارفاجيو وبيكاسو، ليستقر في النهاية عند بعض الملاحظات عن الذنب في الحروب الأهلية، وخصوصاً الحالة اللبنانية. ومقارنة بجولة الأفق الفكرية هذه، تركز دراسة ينس هانسن بشكل خاص على مساهمة المفكّرة اليهودية حنّة أرنت، فيعالج "قراءة حنّة أرنت في الشرق الأوسط: ملاحظات أولية في الشمولية والثورة والخروج". ومع المراجعات القيّمة لرندة حيدر وداود تلحمي وماري فرانس جيابزي، والتقرير الثقافي الفصلي لعلاء حليحل، تكون المجلة قد وفّرت للقارىء مادة فكرية/ثقافية دسمة، حتى صدور العدد المقبل.

أخيراً لا بد من القول إن الحديث كثر في الآونة الأخيرة عن تراجع موقع القضية الفلسطينية، وانحسارها أمام فيض الأصوات وحجم الانفجارات المتتالية في المنطقة، غير أن القضية تتجه على الأرجح نحو احتلال مكانة الصدارة مرة أُخرى في الفترة المقبلة، أكان ذلك سلباً أم إيجاباً. ■

أحمد سامح الخالدي